دعم صاحب الكرمل ، وهو يراقب عملية الغولة ، موقف العسلي ، فشن حملة على البائعين في مقاله(٢٦) « نصب صلاح الدين بين الناصرة وطبرية » ساخرا من الاغنياء الذين لم يتورعوا عن بيع حتى نصب صلاح الدين بمال يسير ينفقونه على الملاهي ، ثم يعيشون في شقاء ويورثون ابناءهم بلاء .. » ويضيف « ... والله لو كان عندنا نصف ما كان عند اسلافنا من الحماسة والنخوة والوطنية لما حلم الصهيونيون باسترداد بلاد اجدادهم بالمال ... » دعوة الكرمل لم تثن الوالي او سرسق عن عزمهما امام مغريات الصهيونيين .

ولكن صدى حملة الكرمل في شرح ابعاد الخطر كان يصل الى الخارج حيث يتلقفه المثقفون العرب (في الاستانة او القاهرة وغيرها) ، كما ان بعضهم قد لمس النفوذ اليهودي في اوساط الاتحاديين ونتائجه البعيدة في تحقيق اطماع الصهيونية ، واتفق الجميع على خطورة المسألة الصهيونية في فلسطين ، الا انهم اختلفوا في تحديد مدى هذا الخطر ، فبينما وجد اولئك الذين في الداخل انه خطر سياسي مادي معا ، وجد الذين في الخارج ان الخطر المادي فقط هو الذي يهدد معيشة السكان . وكان من الفئة الاخيرة رفيق العظم ، احد الادباء السوريين والدعاة للنهضة العربية . وعلى صفحات جريدة (الحضارة)(٢٧) التي كان يصدرها المثقفون العرب في الاستانة كتب مقالا عن الاستعمار الصهيوني ، بعد ان غالت اكثر الجرائد السورية — على حد قوله — في ذكر الخطر الذي يتهدد البلاد من آمال الصهيونيين لاعتقاد أنهم يريدون اعادة « ملك اسرائيل في اورشليم ... » . ورفيق العظم يستبعد تحقيق الفكرة الصهيونية ولا يخشى من مهاجرة الاسرائيليين الى فلسطين الا من وجهين : بقاء اكثرهم على التابعية الاجنبية ، وهذا ما يجر مشاكل على الدولة ثم الناحية المادية التي تهدد الشعب الفلسطيني نفسه اذ « ان هؤلاء اليهود شعب مقتصد ، عامل ، نشيط ، والجمعية الصهيونية تتذرع بكل الوسائل المؤدية لراحته وترقيته ... ومن شاهد القرى التي استعمروها ... تحقق له ان خطر تنازع البقاء محيط بسكان البلاد ... » وحث الكاتب « على وجوب نهضة اهل البلاد لمجاراة اليهود ... والا كانوا طعمة لجيرانهم » .

مقال العظم لم يثر استياء الصهيونيين، بل أنهم شكروه على افكاره لانها «مهدئة للخواطر ومؤلفة للعناصر ... » ، بل لقد طلب احدهم من العظم ان يقنع المتهجمين على الجمعية الصهيونية بالاقلاع عن مهاجمتهم في الجرائد العربية « ... او اشغال الدولة بامور تافهة كالمسألة الصهيونية(٢٨) ... » . ووجدوا في قوله مناسبة لترديد حججهم بمنافع الصهيونيين . وكان ابرز المدافعين نسيم ملول(٢٩) الذي وافق العظم في نفي المقصد السياسي عن الصهيونية ، اما الامر الاخر الذي تخوف منه العظم فبرأيه ، ان ما يفيد الوطني العثماني هو « الجري في ميدان التسابق مع الاسرائيليين » . وفي كتاب له بعنوان « اسرار اليهود »(٣٠)، تعرض لمهاجمة الكتاب الذين يتولون حملة المعارضة ويصورهم بأنهم جهلة يرمون « الامة الاسرائيلية بمفتريات انتقلت الى الشرق من اوروبا بسبب ما رأوه من نجاح اعمال اليهود في فلسطين ... » واشترك نجيب نصار في الحوار(٣١)، ودون ان يشير الى مقال رفيق العظم — وربما عن تجاهل مقصود — فند اقوال المدافعين عن الصهيونيين الذين ينفون فكرة الاستقلال ، فاكد انها لا تزال تراود اخلامهم . اما عن دعوى فائدتهم للوطنيين فيأتي نصار بالادلة لما اوقعوه من ضرر بالاهالي « ... فان كانت جمعياتكم تقوم بعمل انساني بايجاد ملاجيء لليهود المظلومين في بلاد اخرى ، فلا يقضي ان تكون سببا باشقاء اهل البلاد ... » .

كل ما كان يتردد في الصحف العربية حول المسألة الصهيونية ، لم يدفع الحكومة لاثارة الموضوع على مستوى رسمي، « مع ان جماهير الاتراك عموما — كما يقول لوثر السفير البريطاني في رسالته الى وزير الخارجية —(٣٢). يلاحظون مدى النفوذ الذي يتمتع به